الكنيسة أيام الرسل[1]

ذلك الأمس الرائع...

نود في هذه الصفحة أن نبدأ معك عرض تاريخ الكنيسة بالأسلوب الذي نراه صالحًا لخلاص نفسك...

أهمية دراسة هذه الفترة:

ليس مقصدنا من التاريخ أن ندرس حوادث وأخبار، إنما نهدف من وراء معرفة الحوادث والأخبار أن نعرف كيف نحيا ونسلك فالمسيحية روح حياة... والتاريخ إذ يعود بنا إلى الماضي، ويقدم لنا حياة نخبة من الناس إنما يفعل ذلك "لكي نعرف نهاية سيرتهم فنتمثل بإيمانهم". وإن كان ذلك ينطبق على تاريخ الكنيسة بوجه عام، فإنه ينطبق على الكنيسة في عهد الرسل بوجه أخص.

لقد قضى تلاميذ السيد المسيح مدة طويلة معه، وكان يحدثهم أحاديث طويلة خاصة لم يذكر الكتاب عنها شيئًا، كان ينطلق بهم إلى مواضع خلاء، ويسير معهم بالساعات، ويتحدث إليهم في السفينة أو على شاطئ البحيرة، والكتاب المقدس يذكر لنا كل ذلك ولكنه لا يذكر ما دار من أحاديث. ويكتفي القديس يوحنا الحبيب بقوله: "وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ" (يو٢١: ٢٥).

ويخبرنا سفر أعمال الرسل أن السيد المسيح ظهر للتلاميذ أربعين يومًا بعد قيامته كان يكلمهم فيها عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع١:٣). ولكن ماذا قال لهم. لا ندري!

ولكن الكلام الذي قاله السيد المسيح لتلاميذه، وإن كان غير مكتوب في الأناجيل، إلا أنه وصل إلينا البعض منه عن طريق التقليد والتسليم، ووصل إلينا بعضه عن طريق قوانين وتعاليم الرسل. كما أنه ظهر في حياة الرسل أنفسهم، في أعمالهم وفي أقوالهم ورسائلهم.

كان الرسل إذًا كنزًا ثمينًا، ونحن إذ ندرس الكنيسة في عهدهم إنما نود أن نعرف الأوضاع الصحيحة السليمة التي عمل فيها الروح القدس والوحي الإلهي واختزنت فيها تعاليم السيد المسيح ذاته. كيف سارت تلك الكنيسة؟ هذا ما نود الآن أن نذكر فكرة عنه.

عمل الروح القدس

لعل أول ميزة تتميز بها كنيسة الرسل هي عمل الروح القدس. لقد أمرهم السيد له المجد ألا يبرحوا أورشليم حتى يحل عليهم الروح القدس واستطرد فقال: "لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أع١: ٤، ٨). كان يجب أولًا أن ينالوا قوة من الروح القدس ثم بعد ذلك يمكنهم أن يشهدوا للمسيح.

---

[1] نظير جيد "الكنيسة أيام الرسل"، مجلة مدارس الأحد، السنة الخامسة، العدد الخامس، يونيو ١٩٥١م

وفي يوم الخمسين "وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا" (أع٢: ٣، ٤). وهكذا استطاع بطرس أن يلقي عظة وسط جمهور من الأعداء المستهزئين فتكون النتيجة أنهم "فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ" (أع٢: ٣٧، ٤١). إنها عظة عادية قد يلقيها واعظ الآن فلا تخلص نفسًا واحدة، ولكن بطرس الممتلئ من الروح القدس عندما ألقاها على أعدائه يقول الكتاب: "فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟" (أع٢: ٣٧، ٤١).

ومن ذلك الحين صار الروح هو كل شيء في كنيستهم. كان هو الذي يدعوهم إلى الخدمة، وهو الذي يعلمهم ويعطيهم قوة ويتكلم على ألسنتهم، وهو الذي ينقلهم من مكان إلى آخر، وهو الذي يفعل بهم المعجزات، وهو الذي يرشد مجمعهم... كما كان الامتلاء من الروح القدس شرطًا أساسيًا جوهريًا للخدمة.

١- كان الروح القدس يدعوهم إلى الخدمة:

لعل هذا يظهر واضحًا جدًا من التصريح الآتي: "وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" (أع١٣: ٢).

ما دام العمل هو عمل الله، فمن حق الله إذًا أن يختار بنفسه الأشخاص الذين يخدمونه.

٢- وكان يعلمهم ويتكلم على ألسنتهم:

لقد وعدهم السيد المسيح بذلك إذ قال: "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يو١٦: ١٣). وهكذا كان الرسل يمتلئون أولًا من روح الله ثم بعد ذلك يتكلمون حتى يكون كلامهم من الله وليس من ذواتهم. بعد شفاء الأعرج أُخذ بطرس ويوحنا إلى المجمع، "وَلَمَّا أَقَامُوهُمَا فِي الْوَسْطِ، جَعَلُوا يَسْأَلُونَهُمَا: أَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هذَا؟ حِينَئِذٍ امْتَلأَ بُطْرُسُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَقَالَ لَهُمْ... فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِذَاكَ وَقَفَ هذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحًا" (أع٤: ٧-١١). لم يكن ممكنًا أن يتكلم بطرس بهذه الجرأة لو لم يمتلئ أولًا من روح الله.

ثم ها هو بولس الرجل المثقف يشرح لنا فاعلية الروح في الكلام فيقول في رسالته إلى أهل كورنثوس. "وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ،، لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ.. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ"، ويستطرد فيقول: "الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ" (١كو٢: ٤، ٥، ١٠، ١٣).

٣- وكان الروح ينقلهم من مكان إلى آخر:

لننظر كيف آمن الخصي الحبشي وزير كنداكة ملكة الحبشة المشرف على جميع خزائنها: إنه كان جالسًا في مركبته يقرأ النبي إشعياء، وماذا حدث بعد ذلك. "فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلُبُّسَ: تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هذِهِ الْمَرْكَبَةَ" (أع٨: ٢٩). فبادر فيلبس وكلم الوزير الحبشي وبشره وعمده، وهكذا وصل اسم المسيح إلى آثيوبيا.

ثم كيف آمن كرنيليوس قائد المئة. ظهرت رؤيا لبطرس "وَبَيْنَمَا بُطْرُسُ مُتَفَكِّرٌ فِي الرُّؤْيَا، قَالَ لَهُ الرُّوحُ: هُوَذَا ثَلاَثَةُ رِجَال يَطْلُبُونَكَ لكِنْ قُمْ وَانْزِلْ وَاذْهَبْ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ، لأَنِّي أَنَا قَدْ أَرْسَلْتُهُمْ" (أع١٠: ١٩، ٢٠، ٤٤، ٤٨)، وهكذا ذهب بطرس وبشر أول أممي وبينما هو يتكلم بكلمة الرب حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة فسمح لهم بطرس أن يعتمدوا.

وماذا نقول عن تنقلات بولس وسيلا اللذين "أُرْسِلاَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع١٣: ٤) يقول الكتاب: "وَبَعْدَ مَا اجْتَازُوا فِي فِرِيجِيَّةَ وَكُورَةِ غَلاَطِيَّةَ، مَنَعَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالْكَلِمَةِ فِي أَسِيَّا. فَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مِيسِيَّا حَاوَلُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بِثِينِيَّةَ، فَلَمْ يَدَعْهُمُ الرُّوحُ... وَظَهَرَتْ لِبُولُسَ رُؤْيَا فِي اللَّيْلِ: رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ قَائِمٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ:«اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا!. فَلَمَّا رَأَى الرُّؤْيَا لِلْوَقْتِ طَلَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ، مُتَحَقِّقِينَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَانَا لِنُبَشِّرَهُمْ فَأَقْلَعْنَا مِنْ تَرُوَاسَ..." (أع١٦: ٦-١٠).

إن أولاد الله لا يتحركون من ذواتهم في كرمه، إنما ينقلهم الروح القدوس من مكان إلى آخر، يمنعهم من الكلام هنا ويأمرهم بالتبشير هناك، حسبما يشاء...

٤- وكان الروح يفعل بهم المعجزات.

لقد حاول حنانيا وسفيرا أن يكذبا على بطرس ولكنه يقول لحنانيا "لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ"، ويقول لسفيرة: "مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟". لقد كانا في الواقع يجربانه هو، ولكنه بنفسه لم يكن يتصرف وإنما روح الله الساكن فيه. وهكذا وقع حنانيا ميتًا وكذلك زوجته "فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذلِكَ" (أع٥: ١-١١).

ثم ها هوذا بولس ومعه سيلا في بافوس. إن عليم الساحر يقاومهما، طالبًا أن يفسد الوالي عن الإيمان "وَأَمَّا شَاوُلُ، الَّذِي هُوَ بُولُسُ أَيْضًا، فَامْتَلأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَشَخَصَ إِلَيْهِ وَقَالَ:.. هُوَذَا يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ، فَتَكُونُ أَعْمَى لاَ تُبْصِرُ الشَّمْسَ إِلَى حِينٍ..." (أع١٣: ٩-١٢) ويعمى الرجل ويؤمن الوالي... إن الروح القدس يعطي لأولاد الله قوة عجيبة.

٥- وكان الروح القدس يرشد مجمعهم:

لقد اجتمع الرسل في مجمع أورشليم ونظروا في أمر إيمان الأمم، ثم أصدروا قرارًا في ذلك، وأرسلوا بقرارهم رسالة إلى أهل أنطاكية وسوريا وكيليكية قالوا فيها: "رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ..." (أع١٥: ٢٨).

وهكذا نرى أنهم لا يصدرون قرارًا من ذواتهم وإنما الروح القدس يرى وهم ينقلون ما يراه للناس.

٦- وكان الامتلاء من الروح القدس شرطًا أساسيًا جوهريًا للخدمة.

عند اختيار الشمامسة السبعة قال الاثنا عشر لجمهور التلاميذ "انْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَال مِنْكُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ، فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هذِهِ الْحَاجَةِ.... فَاخْتَارُوا اسْتِفَانُوسَ، رَجُلاً مَمْلُوًّا مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ..." (أع٦: ٣، ٥).

وهذا الشرط كان عاملًا هامًا في نجاح الخدمة، لقد وقف ضد استفانوس مجمع الليبرتينيين والقيروانيين والإسكندريين... وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ..." (أع٦: ١٠) هذا الشماس بلغ من قداسته أنهم أخذوه ليرجموه في سبيل المسيح "وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ..." (أع٧: ٥٥)، وفيما هم يرجمونه "جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ». وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ" (أع٧: ٦٠).

هذا عن استفانوس، وبرنابا أيضًا الذي أُرسل إلى أنطاكية قيل عنه إنه كان "مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ" (أع١١: ٢٤) لذلك قيل أيضًا "فَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ جَمْعٌ غَفِيرٌ".

وبعد. هذا شيء من عمل الروح القدس في الكنيسة أيام الرسل، وهكذا يجب أن يعمل روح الله في الكنيسة في كل جيل، حتى تدعى كنيسة الله.

نظير جيد